مجلة العدوي للسانيات العرفنية وتعليمية اللغات
Issn: 2773/ 3300
http://www.asjp.cirect.dz/en/presentation Revue/804
المجلد:06 العدد 01 (أوت 2026) ص21 / 29

النمذجة العرفنية للمعنى

Cognitive Modeling of Meaning Construction

صالح غيلوس *
جامعة المسيلة (الجزائر)
Salah.ghilous@univ-msila.dz

معلومات المقال

تاريخ الارسال: 2026/09/03
تاريخ القبول: 2020/09./08

الكلمات المفتاحية:
- ✓ المفاهيم
- ✓ الوحدة اللغوية
- ✓ المجالات المعرفتية
- ✓ العرفنة
- ✓ النمذجة

الملخص:

تسعى هذه الدراسة إلى بناء تصور للنمذجة العرفنية للمعنى ينطلق من أن المعنى اللغوي ليس وحدة ثابتة ومستقلة عن مستعمل اللغة، وإنما هو بنية دينامية تتشكل من خلال تفاعل مجموعة من العمليات العرفنية والدلالية المتشابكة. وفي هذا الإطار، تقترح الدراسة النظر إلى **النمذجة العرفنية للمعنى** بوصفها تمثيلًا إجرائيًا للكيفية التي تنتقل بها الوحدة اللغوية من مجرد منبه شكلي إلى شبكة من المفاهيم والعلاقات التي تُنتج المعنى في سياق معين. ولا يقتصر هذا البناء على العلاقات الدلالية البسيطة، بل يمتد إلى **العلاقات الدلالية المعقدة** التي تنشأ من التداخل بين المفاهيم، والسياقات، والمعارف السابقة، والإيحاءات، والاستدلالات، والعلاقات بين المجالات المعرفية.

Article info

Keywords:
- ✓ *Concepts*
- ✓ *Linguistic Unit*
- ✓ *Cognitive Domains*
- ✓ *Cognition*
- ✓ *Modeling*

Abstract :

*This study seeks to develop a conceptual framework for **cognitive modeling of meaning**, based on the premise that linguistic meaning is not a fixed unit independent of the language user, but rather a dynamic structure shaped through the interaction of a set of interconnected cognitive and semantic processes. Within this framework, the study proposes viewing **cognitive modeling of meaning** as a procedural representation of how a linguistic unit moves from being merely a formal stimulus to becoming a network of concepts and relations through which meaning is constructed in a given context. This construction is not limited to simple semantic relations; rather, it extends to **complex semantic relations** arising from the interaction of concepts, contexts, prior knowledge, implications, inferential processes, and relationships between cognitive domains.*

. مقدمة:

المعنى ليس نموذج تمثيلي مجرّد يصف الكيفية التي يُبنى بها داخل النظام التصوّري. والفكرة الأساسية هي أن الوحدة اللغوية لا تحمل معنىً جاهزًا وثابتًا، وإنما تعمل بوصفها منبّهًا أو مدخلًا يوجّهنا نحو بناء معنى أوسع من خلال عمليات التصوير والتصوّر الذهني.

وبعبارة أخرى، فإن المعنى ليس شيئًا يمكن لأي منظور عرفني أن ينفذ إليه بصورة قطعية أو أحادية الدلالة، وإنما تعمل الوحدات اللغوية على توجيه الفرد نحو مجموعة من العمليات الذهنية. وتشمل هذه العمليات المعرفة الموسوعية، وسياق التلفظ، والخبرة الجسدية، والأطر التصورية، والعلاقات القائمة بين المفاهيم، فضلًا عن عمليات الإسقاط والدمج والاستدلال.

ومن ثمّ، يتضح أن المعنى ليس قيمةً معجمية مستقلة عن الاستعمال، بل هو معنى ديناميكي ينشأ من عملية البناء الذهني .وفي إطار هذه العملية، يحدث تفاعل مستمر بين البنية اللغوية، والسياق، والمعرفة، والخبرة. ويستند هذا التصور إلى أسس راسخة في اللسانيات العرفنية كما تُحدَّد البنى الدلالية في ضوء المجالات العرفنية النموذجية، وتستمد قيمتها من الطريقة التي تُبنى بها هذه المجالات ومن الكيفية التي يُتصوَّر بها محتواها ويُشكَّل ذهنيًا[1].

حيث تُفهم التعبيرات اللغوية بوصفها محفزات أو تعليمات جزئية لبناء فضاءات ذهنية، ولا تؤدي وحدها إلى إنتاج معنى مكتمل؛ إذ يتحدد المعنى الذي يُبنى فعليًا وفق السياق الخطابي الذي ترد فيه العبارة .ويؤكد Evans and Green أن بناء المعنى عملية ذات طبيعة مفهومية في الأساس، وأن الجمل تمثل تعليمات جزئية لبناء بنيات مفهومية معقدة، وأن المعنى ينشأ من عملية دينامية من التشكيل المفهومي لا يمكن فصلها عن السياق [2].

إذ لا تتمثل في تحويل كل كلمة إلى قيمة دلالية تقابلها داخل قاعدة بيانات، وإنما في تمثيل المسار الذي تنتقل عبره الوحدة اللغوية من شكلها اللفظي إلى المعنى المؤوّل؛ أي من المدخل اللغوي إلى السياق، ومن السياق إلى التنشيط التصوري، ومنه إلى الإطار العرفني والعلاقات المفهومية والاستعارية، ثم إلى بناء التأويل النهائي .وبذلك يصبح موضوع النمذجة ليس - المعنى بوصفه ناتجًا- فحسب، وإنما -آليات إنتاج المعنى- ذاتها، وهو ما يسمح بالانتقال من نموذج يقوم على استرجاع المعنى إلى نموذج يقوم على تفسير كيفية بنائه واستدلاله.

من الكلمة إلى بناء المعنى

ومن هذا المنطلق، لا ينبغي النظر إلى المعنى باعتباره شيئًا جاهزًا موجودًا داخل الكلمة، بل باعتباره عملية بناء عرفني تتم أثناء التفاعل بين المتكلم والسياق والعالم والخبرة والمعرفة. فاللفظ لا يقدم المعنى كاملًا، وإنما يعمل بوصفه محفزًا activating cue يستدعي شبكة من التمثيلات والروابط والمفاهيم التي تسهم في بناء التأويل.

وعليه، فإن المشكلة الأساسية التي تواجه الذكاء الاصطناعي في معالجة اللغة الطبيعية ليست فقط التعرف إلى الكلمات والجمل، وإنما القدرة على إعادة بناء العمليات التي تجعل هذه الكلمات ذات معنى في سياق معين.

-المعنى بوصفه بناءً عرفنيًا :

ينبغي إعادة النظر في مفهوم المعنى اللغوي الذي ظلّ، في بعض التصورات اللسانية والحاسوبية، مرتبطًا بالوحدة المعجمية وما يقابلها من دلالة محددة يمكن تخزينها واسترجاعها آليًا. فهذا التصور يفترض ضمنيًا وجود علاقة مستقرة بين الوحدة اللغوية وقيمتها الدلالية، بحيث تبدو الكلمة وكأنها تحمل معنى جاهزًا يمكن استحضاره كلما ظهرت في الاستعمال. غير أنّ هذا التصور لا ينسجم بصورة كاملة مع طبيعة المعنى في الخطاب؛ لأن القيمة الدلالية للوحدة اللغوية لا تتحدد بمعزل عن السياق والعمليات الذهنية التي ينجزها المتكلم والمتلقي أثناء بناء التأويل.

مغايرة المعنى:

إذ لا نعدّه كيانًا مستقلًا مخزّنًا داخل الوحدة اللغوية، وإنما تربطه بعملية التصوّر (conceptualization).ويعبّر رونالد لانغاكر عن هذا المبدأ بوضوح حين يقرر أن المعنى هو التصوّر (meaning is conceptualization)، وأن البنية الدلالية لا يمكن فصلها عن العمليات التصورية التي يستعملها المتكلم في بناء المحتوى وفهمه .ومن ثمّ، فإن الوحدة اللغوية لا تقدم معنى مكتملًا ومستقلًا، وإنما تعمل بوصفها موردًا رمزيًا يوجّه عملية بناء المحتوى التصوري.

ويتأسس هذا التصور كذلك على أن البنى الدلالية لا تُفهم بصورة معزولة، وإنما تُبنى بالنسبة إلى مجالات عرفنية (cognitive domains) تستمد منها الوحدات اللغوية محتواها الدلالي. ففهم مفهوم معين يقتضي استحضار المجال المعرفي الذي ينتظم داخله، وهو ما يجعل المعنى مرتبطًا بشبكة من المعارف والتصورات وليس بمجرد تعريف معجمي ثابت، وبذلك يصبح من غير الدقيق اختزال الدلالة في العلاقة الثنائية بين «لفظ» و«معنى»؛ لأن اللفظ يحيل إلى بنية معرفية أوسع تُسهم في تحديد كيفية فهمه وتأويله.

ومن جهة أخرى، يكتسب السياق المعرفي والإطار التصوري أهمية أساسية في عملية بناء المعنى. فقد طوّر شارل فيلّمور مفهوم الدلالة الإطارية (Frame Semantics) انطلاقًا من أن فهم الكلمات يرتبط باستحضار أطر معرفية منظمة تضم مجموعة من العناصر والعلاقات التي تشكل الخلفية الضرورية لتأويل الوحدة اللغوية. فالكلمة لا تُفهم بالضرورة بمعزل عن الإطار الذي تستدعيه، وإنما تتحدد دلالتها من خلال موقعها داخل بنية معرفية أوسع.[3]

ومنه، فإن اللفظ لا ينبغي النظر إليه باعتباره مستودعًا لمعنى ثابت، بل باعتباره منبهًا لغويًا أو إشارةً موجهة لعملية بناء المعنى .فعند استعمال وحدة لغوية معينة، يستدعي المتلقي، بصورة مباشرة أو غير مباشرة، مجموعة من المعارف والتصورات والأطر والعلاقات المفهومية التي تساعده على تحديد التأويل الملائم للسياق. ومن هنا فإن المعنى الناتج لا يكون مجرد استرجاع آلي لقيمة معجمية سابقة، وإنما حصيلة تفاعل بين البنية اللغوية والموارد المعرفية والسياق الاستعمالي.

ويتضح هذا الأمر بصورة أكثر دقة في التمييز الذي يقترحه فيفيان إيفانز بين المفهوم المعجمي (lexical concept)وبين المعنى الذي يتشكل في الاستعمال. فالمفهوم المعجمي يمثل معرفة مرتبطة بوحدة لغوية معينة، لكنه لا يساوي بالضرورة المعنى الكامل الذي ينتجه المتكلم أو المتلقي في سياق محدد؛ إذ تتفاعل المفاهيم المعجمية مع النماذج العرفنية والمعرفة السياقية لتكوين المعنى المتحقق في الاستعمال.

وعلى هذا الأساس، فإن تعدد المعاني الذي تظهره الوحدة اللغوية الواحدة لا ينبغي أن يُفهم فقط بوصفه تعددًا لمعانٍ معجمية مستقلة، وإنما يمكن النظر إليه بوصفه نتيجة لتعدد عمليات بناء المعنى التي تفرضها السياقات والاستعمالات المختلفة. فالوحدة اللغوية نفسها يمكن أن تستثير عمليات تصورية مختلفة تبعًا للمعرفة السابقة، والموقف التواصلي، والإطار المفهومي، والعلاقات التي تنشأ بين المفاهيم أثناء التأويل.

ويتعزز هذا التصور برفض الفصل الصارم بين المعرفة اللغوية والمعرفة العامة. فالمعنى اللغوي، في المنظور العرفني، يرتبط بشبكة واسعة من المعرفة التي يمتلكها المتكلم عن العالم، وبذلك تصبح معرفة الكلمة متداخلة مع معرفة الأشياء والمواقف والخبرات التي ترتبط بها.

كما أن الخبرة الجسدية تؤدي دورًا في تشكيل المفاهيم والمعاني؛ إذ تنظر اللسانيات العرفنية إلى المعرفة المفهومية بوصفها مرتبطة، بدرجات متفاوتة، بالتجربة الحسية والجسدية للإنسان. ومن ثمّ، فإن فهم عدد من المفاهيم المجردة قد يستند إلى بنيات تصورية متجذرة في الخبرة الجسدية والتفاعل مع العالم [4].

وبذلك يمكن القول إن المعنى ليس معطًى جاهزًا موجودًا داخل الكلمة، ولا قيمة ثابتة مستقلة عن الاستعمال، كما أنه لا يوجد بصورة مكتملة داخل النص؛ وإنما هو نتيجة لعملية بناء عرفني تتفاعل فيها الإشارة اللغوية مع السياق والمعرفة والخبرة والإطار التصوري والعلاقات المفهومية. فالنص لا «يحتوي» المعنى بصورة نهائية، وإنما يقدم مجموعة من المؤشرات اللغوية التي توجه المتلقي نحو بناء تأويل معين اعتمادًا على موارده المعرفية والتصورية.

ومن هنا تبرز أهمية هذا التصور في مجال معالجة اللغة الطبيعية والذكاء الاصطناعي؛ إذ إن المشكلة لا تتمثل فقط في التعرف إلى الكلمات والجمل أو ربطها بتمثيلات معجمية، وإنما في القدرة على نمذجة العمليات التي تجعل هذه الوحدات ذات معنى داخل سياق معين. فإذا كان المعنى ناتجًا عن عملية بناء عرفني، فإن النظام الحاسوبي يحتاج، من حيث المبدأ، إلى تمثيل العناصر التي تدخل في هذه العملية، مثل السياق، والمعرفة، والإطار، والعلاقات المفهومية، والاستدلال.

وعليه، فإن السؤال الذي ينبغي أن توجه إليه النمذجة الحاسوبية للمعنى ليس فقط» :ما معنى هذه الكلمة؟«، وإنما» :كيف بُني المعنى الذي اكتسبته هذه الكلمة في هذا السياق تحديدًا؟ . وهذا التحول من البحث عن معنى معجمي ثابت إلى نمذجة عملية بناء المعنى يمثل انتقالًا من تصور المعنى بوصفه «شيئًا» إلى تصوره بوصفه عملية عرفنية ديناميكية.

وبناءً على ذلك، يمكن تحديد المبدأ الإجرائي للنمذجة العرفنية للمعنى في أن الوحدة اللغوية تمثل منبهًا أو مدخلًا (activating cue) يطلق سلسلة من العمليات التصورية والاستدلالية، تتفاعل فيها البنية اللغوية مع السياق والمعرفة الموسوعية والخبرة والإطار والعلاقات المفهومية، وصولًا إلى بناء معنى ملائم للموقف الاستعمالي. ومن ثمّ، لا تتمثل مهمة النموذج الحاسوبي في تخزين المعنى واسترجاعه فحسب، بل في إعادة بناء المسار العرفني الذي ينتج المعنى.

إذ تتحدد القيمة النظرية للنمذجة العرفنية للمعنى؛ فهي لا تسعى إلى تحويل المعنى إلى «مدخل معجمي» جديد، وإنما إلى الانتقال من تمثيل المعنى إلى تمثيل آليات بنائه .وهذا هو الفارق الجوهري بين نموذج يكتفي بربط الوحدة اللغوية بدلالة محددة، ونموذج يحاول محاكاة الكيفية التي ينتقل بها الإنسان من الإشارة اللغوية إلى التأويل والمعنى.

المعنى بوصفه سلسلة من العمليات التصورية والاستدلالية:

لا يمكن النظر إلى المعنى اللغوي بوصفه قيمة ثابتة ومكتفية بذاتها تستقر داخل الوحدة المعجمية، ثم تنتقل منها بصورة آلية إلى المتلقي؛ ذلك أن المعنى يتشكل من خلال تفاعل اللفظ مع السياق والقرائن والعلاقات التي تنتظم داخل الخطاب. وقد أظهرت الدراسات الدلالية العربية أن فهم الدلالة لا يقوم على النظر إلى اللفظ منفردًا، وإنما يقتضي استحضار مجموعة من العناصر التي تسهم في تحديد المقصود وتوجيه التأويل. وفي هذا السياق، يؤكد تمام حسان أن دراسة المعنى لا تنفصل عن العلاقات والقرائن التي تنتظم بها البنية اللغوية في الاستعمال، وهو ما يجعل المعنى مرتبطًا بالبنية والسياق معًا تُضبط وفق الطبعة المعتمدة، من أن الدلالة لا تستنفد في المعنى المعجمي المباشر، وأن للمعنى أبعادًا وظلالًا تتحدد وفق السياق والعلاقات والقرائن المختلفة تُضبط وفق الطبعة المعتمدة.

ومن هذا المنطلق، يمكن النظر إلى المعنى باعتباره سلسلة من العمليات التصورية والاستدلالية التي تبدأ من الإشارة اللغوية، ولكنها لا تنتهي عند حدودها؛ فاللفظ لا يقدم للمتلقي معنى مكتملًا، وإنما يستثير لديه مجموعة من العمليات الذهنية التي تمكنه من بناء المقصود في ضوء السياق والمعرفة السابقة والخبرة والعلاقات بين المفاهيم. ويجد هذا التصور سندًا له، من جهة التراث البلاغي العربي، في نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني؛ إذ لا يجعل قيمة اللفظ قائمة في ذاته منفصلًا عن غيره، وإنما يربطها بالعلاقات التي تنشأ بين الألفاظ أثناء التأليف، وبالطريقة التي ينتظم بها الكلام لتحقيق المعنى. فاللفظ، في هذا التصور، لا يستمد دلالته النهائية من وجوده المفرد، وإنما من موقعه والعلاقات التي يدخل فيها داخل التركيب ، حيث يُراجع موضع النظم في الطبعة المعتمدة .(وتكشف هذه الرؤية، على الرغم من اختلاف إطارها النظري عن اللسانيات العرفنية الحديثة، عن وعي مبكر بأن المعنى لا ينشأ من المفردة معزولة، وإنما من عملية تركيب وعلاقات تؤدي دورًا في توجيه الفهم.

وبناءً على ذلك، فإن أولى مراحل بناء المعنى تتمثل في تنشيط الإشارة اللغوية؛ إذ تعمل الكلمة أو العبارة بمثابة منبه يستدعي لدى المتلقي شبكة من المعارف والتمثيلات المرتبطة بها. غير أن هذه الشبكة لا تُستحضر كلها بصورة آلية، بل يجري انتقاء العناصر الأكثر ملاءمة للمقام والسياق. وهنا يتضح أن المعنى ليس مجرد استرجاع لمعنى معجمي سابق، وإنما هو عملية اختيار وتنظيم وتأويل.

فالكلمة الواحدة يمكن أن تدخل في سياقات مختلفة فتستدعي في كل سياق جوانب معرفية مختلفة، الأمر الذي يجعل معناها المتحقق مرتبطًا بالاستعمال لا بالوحدة المعجمية وحدها.

وتتداخل مع هذه العملية القرائن السياقية التي توجه المتلقي نحو المعنى المقصود؛ فالسياق لا يمثل إطارًا خارجيًا محيطًا بالكلام فحسب، وإنما يؤدي وظيفة أساسية في تحديد العلاقات الممكنة بين العناصر اللغوية، وفي استبعاد بعض التأويلات وترجيح بعضها الآخر. ولذلك فإن بناء المعنى يتطلب الانتقال من المستوى اللغوي المباشر إلى مستوى أوسع تستثمر فيه المعارف السابقة والمعلومات التي يوفرها المقام، بما يسمح بالنظر إلى المعنى بوصفه ناتجًا عن تفاعل بين اللفظ وما يحيط به من عناصر دلالية وسياقية[5].

ولا يتوقف الأمر عند استدعاء السياق، بل يتطلب بناء تمثيل تصوري للمحتوى الذي تشير إليه اللغة. فالمتلقي لا يستقبل الكلمات بوصفها وحدات منفصلة، وإنما يعيد تنظيمها في صورة علاقات ومفاهيم ومشاهد ذهنية تمكنه من فهم الوضعية التي يشير إليها الخطاب. وبذلك تصبح عملية الفهم انتقالًا من الإشارة اللغوية إلى بناء تصور ذهني لما يُراد التعبير عنه. وهذا ما يفسر لماذا قد يكون المعنى الذي يفهمه المتلقي أوسع من المعلومات التي تقدمها الكلمات بصورة صريحة؛ لأن عملية الفهم تتضمن استحضار معرفة سابقة وربطها بالمعلومات الجديدة.

ومن هنا تظهر العملية الاستدلالية بوصفها مكوّنًا أساسيًا في بناء المعنى. فالمتلقي لا يكتفي بما تقوله اللغة صراحة، وإنما يستنتج منها ما يمكن أن يكون مقصودًا اعتمادًا على السياق والمعرفة السابقة والقرائن والعلاقات بين المفاهيم. وقد يكون هذا الاستدلال متعلقًا بعلاقة سببية، أو زمنية، أو مكانية، أو منطقية، أو تداولية، أو غيرها من العلاقات التي تمكن المتلقي من تجاوز المعنى الحرفي المباشر والوصول إلى المقصود في السياق. ومن ثم، فإن المعنى المتحقق في الخطاب هو حصيلة تفاعل بين ما تقدمه اللغة من إشارات وما يضيفه المتلقي من عمليات بناء واستنتاج.

ويترتب على ذلك أن المعنى لا ينبغي أن يُتصور بوصفه نتيجة نهائية لعملية فك ترميز بسيطة، وإنما بوصفه بنية ديناميكية ناشئة تتكون تدريجيًا من خلال تفاعل مجموعة من العمليات. فاللغة توفر المنبه الأول، والسياق يوجه عملية التفسير، والمعرفة السابقة تمد المتلقي بالمعلومات اللازمة، والخبرة تسهم في بناء التصورات، والعلاقات المفهومية تنظم العناصر المستحضرة، ثم تأتي العمليات الاستدلالية لتستكمل ما لا تقدمه البنية اللغوية بصورة صريحة. ومن ثم فإن بناء المعنى يشبه مسارًا متحركًا ينتقل فيه المتلقي من الإشارة إلى الاستحضار، ومن الاستحضار إلى التصور، ومن التصور إلى الربط، ومن الربط إلى الاستدلال، ومن الاستدلال إلى التأويل.

وعلى هذا الأساس، فإن العبارة القائلة إن »المعنى سلسلة من العمليات التصورية والاستدلالية « لا تعني وجود خطوات ميكانيكية منفصلة يؤديها العقل بالترتيب نفسه في كل عملية فهم، وإنما تعني أن المعنى حصيلة شبكة من العمليات الذهنية المتفاعلة والمتداخلة .فالاستدلال قد يستدعي معرفة جديدة، والمعرفة قد تغير طريقة تصور الموقف، والسياق قد يعيد توجيه عملية الانتقاء، كما أن إعادة بناء التصور قد تؤدي إلى إعادة تفسير بعض العناصر اللغوية. ولذلك فإن بناء المعنى عملية ديناميكية قابلة للتعديل أثناء سير التأويل[6].

ومن هذه الزاوية، يصبح من غير الدقيق القول إن المعنى موجود داخل الكلمة أو داخل النص بصورة مكتملة؛ فالكلمة تقدم موردًا لغويًا، والنص يقدم شبكة من المؤشرات، أما المعنى المتحقق فينشأ من عملية التفاعل بين هذه المؤشرات وبين الجهاز المعرفي للمتلقي وسياق الاستعمال. وهذا التصور يجد له امتدادًا مهمًا في الدراسات العربية التي لم تجعل الدلالة منفصلة عن السياق والعلاقات والقرائن، كما يتقاطع مع ما قدمته اللسانيات العرفنية الحديثة من تصور للمعنى بوصفه بناءً تصوريًا.[7]

وعليه، يمكن تعريف المعنى، من منظور إجرائي، بأنه ناتج ديناميكي لسلسلة من العمليات التصورية والاستدلالية التي تبدأ بتنشيط الإشارة اللغوية، ثم تستدعي المعرفة والقرائن والسياق، وتنتقي العناصر الملائمة، وتبني العلاقات بين المفاهيم، وتنتج عنها في النهاية صورة تأويلية تحدد المعنى الذي يكتسبه الملفوظ في سياق استعمال معين .ومن ثم فإن دراسة المعنى لا ينبغي أن تقتصر على سؤال: «ماذا تعني هذه الكلمة؟»، بل ينبغي أن تنتقل إلى سؤال أكثر تركيبًا» :كيف بُني المعنى الذي اكتسبته هذه الكلمة أو العبارة في هذا السياق.

دور العلاقات والمفاهيم في نمذجة المعنى:

لا يتأسس المعنى، في المنظور العرفني، على مفهوم معجمي منفرد ومستقل عن غيره، وإنما يتشكل من خلال شبكة من العلاقات التي تربط المفاهيم بعضها ببعض، وتصلها بالسياق والتجربة والمعرفة السابقة. ومن ثمّ فإن بناء العلاقات والمفاهيم يمثل مرحلة مركزية في نمذجة المعنى، لأن الوحدة اللغوية لا تستدعي معنى مكتملًا بمجرد حضورها في الخطاب، وإنما تنشط من خلالها مجموعة من التمثيلات والمفاهيم التي تتحدد قيمتها تبعًا للعلاقات التي تنتظم بينها. [8]

وتتضح أهمية العلاقات المفهومية بصورة أكثر مباشرة في التصور الاستعاري للمعنى؛ فالاستعارة، وفق التصور هذا لا تقوم على مجرد استبدال لفظ بلفظ، وإنما ترتبط بطريقة في تنظيم التصورات وفهم مجال من خلال مجال آخر. [9]

وعلى هذا الأساس، يمكن في النموذج العرفني التعامل مع المفهوم بوصفه عقدة داخل شبكة معرفية، لا بوصفه وحدة منعزلة؛ إذ تستمد العقدة قيمتها من الروابط التي تصلها بغيرها من العقد. فمفهوم «السفر»، مثلًا، لا يشتغل في التأويل باعتباره مدخلًا معجميًا فحسب، وإنما يمكن أن يستدعي شبكة من المفاهيم مثل: المسافر، المكان، الانطلاق، الوصول، الطريق، الحركة، الغاية، الزمن، والعوائق. ومن ثم فإن نمذجة المعنى لا تكتفي بتسجيل المفاهيم المنشطة، بل ينبغي أن تمثل نوع العلاقة التي تربط بينها: علاقة سببية، أو مكانية، أو زمانية، أو وظيفية، أو تصورية، أو استعاريّة، أو استدلالية. وهذا يتفق مع طبيعة البحث الدلالي الذي يجمع بين المفهوم وعلاقاته وسياقه بدل اختزال الدلالة في المعنى المعجمي للكلمة.

إذ لا ينبغي أن تمثل نمذجة المعنى المفهوم بوصفه قيمة ثابتة، بل ينبغي أن تمثل مسار تنشيطه وعلاقاته :تبدأ العملية بالوحدة اللغوية التي تعمل منبهًا، ثم تُفعَّل مجموعة من المفاهيم الممكنة، وبعد ذلك يجري انتقاء المفاهيم الأكثر ملاءمة للسياق، وربطها بالمفاهيم الأخرى، وإدراجها في إطار معرفي أو تصوري مناسب، ثم بناء العلاقات التي تسمح بانتقال التأويل من المعنى المباشر إلى المعنى

السياقي أو الاستدلالي. وبذلك تصبح البنية الدلالية في النموذج شبكة دينامية قابلة لإعادة التنظيم بحسب السياق، وليست قائمة ثابتة من المعاني المخزنة.

ومن هنا يمكن تحديد العلاقات المفهومية في النموذج العرفني ضمن مستويات مترابطة: علاقات داخل المجال التصوري الواحد، وعلاقات بين المجالات التصورية، وعلاقات يفرضها السياق، وعلاقات تستنتج من المعرفة الموسوعية، وعلاقات تنشأ من العمليات الاستعارية أو من الاستدلال. ففي قولنا مثلًا: «واجه الباحثُ عقباتٍ كثيرةً في طريق البحث»، لا تقتصر النمذجة على مفهومي «الباحث» و«العقبات»، وإنما تستدعي بنية تصورية تجعل «البحث» مسارًا، و«العقبات» عوائق، و«التقدم» حركة إلى الأمام؛ أي إن المعنى الناتج يتشكل من شبكة من العلاقات التي تتجاوز المعنى الحرفي للألفاظ المفردة.

وبالتالي، فإن بناء العلاقات والمفاهيم في النموذج المقترح يمثل انتقالًا من تمثيل المعنى على أساس الوحدات المعجمية المنفردة إلى تمثيله على أساس الشبكات التصورية والعلاقات الدينامية . وتتمثل القيمة الإجرائية لهذه المرحلة في أنها تسمح للنموذج بتمثيل ليس فقط «ما المفاهيم الموجودة؟»، وإنما أيضًا «كيف ترتبط؟ ولماذا نُشِّطت؟ وما المفهوم الذي تستدعيه؟ وما العلاقة التي تجمع بينها؟ وكيف أسهمت هذه العلاقات في إنتاج التأويل النهائي؟». وبذلك يصبح بناء المعنى عمليةً مركبة يمكن نمذجتها إجرائيًا وفق السلسلة الآتية:

الوحدة اللغوية ← تنشيط المفاهيم ← انتقاء المفاهيم الملائمة ← تحديد المجال/الإطار ← بناء العلاقات ← الربط بين المفاهيم ← الدمج التصوري ← الاستدلال ← إنتاج المعنى السياقي.

ومن ثم فإن النموذج العرفني للمعنى لا يسعى إلى تخزين «معنى» الوحدة اللغوية بقدر ما يسعى إلى تمثيل العمليات والعلاقات التي تجعل هذا المعنى ممكنًا في سياق استعمال معين.

[1] - Langacker, Ronald W. (1986). *Foundations of Cognitive Grammar, Volume 1: Theoretical Prerequisites*. Stanford, California: Stanford University Press, p. 403.

2 - Evans, Vyvyan & Green, Melanie. (2006). *Cognitive Linguistics: An Introduction*. Edinburgh, United Kingdom: Edinburgh University Press.

Evans, Vyvyan & Green, 2006, pp. 365

[3] - Lakoff, George & Johnson, Mark. (1999). *Philosophy in the Flesh: The Embodied Mind and Its Challenge to Western Thought*. New York: Basic Books, p. 33.

[4] - جونسون، مارك ولايكوف، جورج .(1999) .*الاستعارات التي نحيا بها* .نيويورك Basic Books :؛ ص. 33.ص 33

5 - ينظر ، تمام حسان، *اللغة العربية معناها ومبناها*، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 2001، ص 335،

6- غيلوس: معجم اللسانيات العرفنية ، نور نشر ، ص250

7- .عبد المجيد جحفة، *مدخل إلى الدلالة الحديثة*، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ص102
8 غيلوس صالح، مباحث لسانيات عرفنية، ص 88
9 جورج لايكوف وجونسون: الاستعارات التي نحيا بها، ص 83-81